جامعة الطائف

مصطلح ضمير العماد عند الفرّاء من خلال كتابه معاني القرآن

د. محمد بن صوال بن عايش الراجحي البقمي

مجلة جامعة الطائف - الآداب والتربية (اللغة العربية وآدابها)
المجلد الثاني - العدد الثامن - ذو الحجة ١٤٣٣هـ - نوفمبر ٢٠١٢م

الملخص

مما لفت نظري عند قراءتي لكتاب الفرّاء (معاني القرآن) اضطرابٌ في إطلاقه لبعض المصطلحات النحوية، ومنها على سبيل المثال مصطلح «ضمير العماد» فأحببت أن أستجلي هذا المصطلح عند الفرّاء، وأعرف مراده به، فجاء هذا البحث، وقد جعلته على النحو التالي:

- المدخل : وبينت فيه مفهوم «مصطلح العماد» عند البصريين والكوفيين، وفائدته.
- المبحث الأول : وذكرت فيه المواضع التي أشار الفرّاء فيها إلى مصطلح العماد.
- المبحث الأخير : وصنفت فيه تلك المواضع وحللتها بناء على ما استقر عليه المصطلح عند البصريين والكوفيين.
- الخاتمة : وضمنتها أبرز نتائج البحث.

أسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن ينفع بها، وأن ينفعنا بها، ولا أدّعي لها العصمة من الزلل، والنجاة من الخطأ، فإن كان صواباً فمن الله وحده، وإن كان خطئاً فمن نفسي والشيطان وفقني الله وإياكم للخير والصلاح.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

المصطلحات النحوية، ومنها على سبيل المثال مصطلح « ضمير العماد» فأحببت أن أستجل هذا المصطلح عند الفرّاء، وأعرف مراده به، فجاء هذا البحث، وقد جعلته على النحو الآتي:

- المدخل : بينت فيه مفهوم «مصطلح العماد» عند البصريين والكوفيين، وفائدته.
- المبحث الأول : ذكرت فيه المواضع التي أشار الفرّاء فيها إلى مصطلح العماد.
- المبحث الأخير: صنفت فيه تلك المواضع وحللتها بناء على ما استقر عليه المصطلح عند البصريين والكوفيين.
- الخاتمة : ضمنتها أبرز نتائج البحث.

أسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن ينفع بها، وأن ينفعنا بها، ولا أدّعي لها العصمة من الزلل، والنجاة من الخطأ، فإن كان صواباً فمن الله وحده، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان وفقني الله وإياكم للخير والصلاح.

المدخل

- **مفهوم ضمير العماد**
- **فائدته**

ضمير العماد (الفصل)

هو الضمير المنفصل المرفوع المتوسط بين المبتدأ والخبر، أو ما أصلهما المبتدأ والخبر نحو قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [2]، وقوله : ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، وقوله :

﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾[4]، وقوله: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾[5].

وزعم الزجّاج أن سيبويه لم يذكر الفصل مع المبتدأ والخبر، قال:» زعم سيبويه أنّ هو، وهما، وهم ، وأنا، وأنت، ونحن، وهي، وسائر هذه الأشياء تكون فصولاً مع الأفعال التي تحتاج إلى اسم وخبر، ولم يذكر سيبويه الفصل مع المبتدأ والخبر»[6].

والصحيحُ أن سيبويه ذَكَرَ وقوعها في الابتداء، قال سيبويه: « واعلم أنها تكون في إنّ وأخواتها فصلاً، وفي الابتداء، ولكنّ ما بعدها مرفوع، لأنه مرفوعٌ قبل أن تذكر الفصل»[7].

والبصريون يسمونه فصلاً ، والكوفيون يسمونه عماداً « الفصل من عبارات البصريين، كأنه فصل الاسم الأول عمَّا بعده، وآذن بتمامه، ولم يبق منه بقية من نعت ولا بدل إلاّ الخبر لا غير، والعماد من عبارات الكوفيين كأنه عَمَد الاسم الأول وقوّاه بتحقيق الخبر بعده»[8].

قال سيبويه في باب ما يكون فيه هو، وأنت، وأنا، ونحن، وأخواتهن فصلا: «أعلم أنهن لا يكن فصلاً إلا في الفعل، ولا تكون كذلك إلاّ في كلّ فعلٍ الاسمُ بعده بمنزلته في حال الابتداء، واحتياجه إلى ما بعده كاحتياجه إليه في الابتداء، فجاز هذا في هذه الأفعال التي الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء إعلاماً بأنه قد فصل الاسم»[9].

وقال الفراء عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾، قال: «ويقال: إنما «هو» هاهنا عماد...»[10].

وسمّاه البصريون فصلا ؛ لأنه فُصِل به بين كون ما بعده نعتاً، وكونه خبراً ؛ لأنك إذا قلت: زيد القائم، جاز أن يتوهم السامع كون (القائم) صفة، فينتظر الخبر، فجئت بالفصل، ليتعيّن كونه خبراً لا صفة.

«والكوفيون يسمونه عماداً لكونه حافظاً لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية كالعماد للبيت، الحافظ للسقف من السقوط»[11].

والكوفيون يسمونه عماداً؛ لأنه يعتمد عليه في الفائدة، وبعضهم يسميه دعامة ؛ لأنه يُدعم به الكلام، أيْ يقوّى به[١٢]

وذكر ابن هشام[١٣] في فائدة هذا الضمير ثلاثة أمور:

الأول: الإعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا تابع.

الثاني: التوكيد.

الثالث: الاختصاص.

مواضع ضمير العماد عند الفرّاء في «معاني القرآن»

١-ذكر الفرّاء في إعراب (هو) من قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[١٤] وجهين:

الأول: إن شئت جعلت (هو) كناية عن الإخراج (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم) أي: وهو محرم عليكم، يريد: إخراجهم محرّم عليكم، ثم أعاد الإخراج مرة أخرى تكريراً على (هو) لمّا حال بين الإخراج وبين (هو) كلام فكان رفع الإخراج بالتكرير على (هو).

الثاني: وإن شئت جعلت (هو) عماداً، ورفعت الإخراج بمحرّم، كما قال الله جلّ وعز: «وما هو بمخرجه من العذاب أن يعمر»[١٥] فالمعنى والله أعلم ليس بمزحزحه من العذاب التعمير [١٦].

وقد اختلف من جاء بعد الفرّاء في إعرابه للضمير (هو) في الوجه الثاني، فمنهم من تعقَّبه وخَطّأه في جعله (هو) للعماد، قال أبو جعفر النحاس: « وزعم الفرّاء أن (هو) عماد، وهذا عند البصريين خطأ لا معنى له، لأن العماد لا يكون في أول الكلام» [١٧].

ومنهم من تابعه ووافقه كأبي جعفر الطبري في تفسيره : (والتأويل الثاني: أن يكون عماداً، لمّا كانت (الواو) التي مع (هو) تقتضي اسماً يليها دون الفعل) [١٨].

ومنهم من خَرّج إعراب الفرّاء على أن (هو) ضمير فصل تقدم مع الخبر قال أبو حيّان: « وأجاز الكوفيون أن يكون (هو) عمادا، وهو الذي يُعَبِّر عنه البصريون بالفصل، وقد تقدم مع الخبر، والتقدير: وإخراجهم هو محرّم عليكم، فلمّا قُدِّم خبر المبتدأ على المبتدأ، قُدِّم معه الفصل، قال الفرّاء : لأن الواو هاهنا تطلب الاسم، وكل موضع تطلب فيه الاسم، فالعماد فيه جائز، ولا يجوز هذا التخريج عند البصريين، لأن فيه أمرين لا يجوزان عندهم :

أحدهما : وقوع الفصل بين معرفة ونكرة لا تقارب المعرفة، إذ التقدير: وإخراجهم هو مُحَرّم، فمُحَرّم نكرة لا تقارب المعرفة.

الثاني: أن فيه تقديم الفصل، وشرطه أن يكون متوسطاً بين المبتدأ والخبر أو بين ما هما أصله) [١٩]. وذكر أبوحيّان تخريجات أخرى، وتابعه في ذلك السمين الحلبي[٢٠].

٢-ذكر الفرّاء عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾[٢١] أن الضمير هو عمادٌ، قال: « يقال: إنما (هو) هاهنا عماد»[٢٢]

٣-ذكر الفرّاء ضمير العماد عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾[٢٣]. فقال: في (الحق) النصب والرفع، إن جعلت (هو) اسماً رفعت (الحق) بـ (هو)، وإن جعلتها عماداً بمنزلة الصلة نصبت (الحق)، وكذلك فافعل في أخوات كان، وأظن وأخواتها، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾[٢٤].

وكلّ موضع صلحت فيه يفعل أو فعل مكان الفعل المنصوب ففيه العماد ونصبُ الفعل، وفيه رفعه بهو على أن تجعلها اسماً، ولابد من الألف واللام إذا وجدت إليهما السبيل»[٢٥].

وذكر العماد من جاء بعد الفرّاء جمعٌ من المعربين[٢٦] إلاّ أن الأخفش ذهب إلى أن (هو) في هذه الآية زائدة في الكلام صلة توكيد، ويظهر أن معنى الفصل (العماد) مرادٌ أيضاً عنده، قال الأخفش: « فنصب (الحق)؛ لأن (هو) والله أعلم جعلت هاهنا صلة في الكلام زائدة توكيداً كزيادة (ما)، ولا تزاد إلاّ في كل فعل لا يستغنى عن خبر، وليست (هو) بصفة لـ (هذا) لأنك لو قلت: رأيت هذا هو، لم يكن كلاماً، ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة، ولكنها تكون من صفة المضمرة في نحو قوله تعالى: « ولكن كانوا هم الظالمين «، وقوله : « تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا « ؛ لأنك تقول: وجدته هو، وأتاني هو، فتكون صفة، وقد تكون في هذا المعنى أيضا غير صفة، ولكنها تكون زائدة كما كان في الأول... وإنما جعلوا هذا المضمر نحو قولهم: (هو) و (هما) و (أنت) زائداً في هذا المكان،لم يجعل في مواضع الصفة ؛ لأنه فصلٌ أراد أن يبين به أنه ليس بصفة ما بعده لما قبله، ولم يحتج إلى هذا في الموضع الذي لا يكون له خبر»[٢٧]

٤ -قال تعالى: ﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[٢٨]

قال الفرّاء: « وموضع (أربى) نصب، وإن شئت رفعت، كما تقول: ما أظن رجلاً يكون هو أفضلُ منك وأفضلَ منك، النصب على العماد، والرفع على تجعل «هو» اسماً، ومثله قول الله عز وجل:» تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا «نصب، ولو كان رفعاً كان صواباً»[٢٩].

وخالف الفرّاء من تعرض لهذه الآية، ولم يُجَوّزوا كون الضمير (هي) فصلا أو عماداً ؛ لأن ما قبله نكرة وليس بمعرفة، قال أبو جعفر النحاس: «قال الكسائي والفرّاء: «أربى» في موضع نصب، والمعنى مثل: «تجدوه عند الله هو خيرا» يجعلان(هو)عمادا،قال أبو جعفر: وهذا خطأ عند الخليل وسيبويه رحمهما الله ،ولا يجوز ولا يشبه « تجدوه عند الله هو خيراً»؛ لأن الهاء في «تجدوه» معرفة و «أمة» نكرة، ولا يجوز عندهما : ما كان أحد هو جالساً، وقال الخليل: لا تكون

«هو» زائدة إلا مع المعرفة»[٣٠].

٥-قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾[٣١].

قال الفرّاء: («أنا» إذا نصبت «أقلَّ» عماد، وإذا رفعت «أقلّ» فهي اسم والقراءة بهما جائزة[٣٢].

وقد ذكر المعربون الوجهين اللذين ذكرهما الفرّاء، وزادوا جواز كون الضمير (أنا) في موضع نصب توكيداً للياء في قوله: «ترني»[٣٣].

٦- قوله تعالى: «فإذا هي شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا»[٣٤].

قال الفرّاء: (تكون «هي» عمادا يصلح في موضعها (هو)... وإن شئت جعلتها «هي» للأبصار كنيت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها، كما قال الشاعر):

لعمر أبيها لا تقول ظعينتي ألا فَرّعني مالك بن أبي كعب.

فذكر الظعينة، وقد كنّى عنها في «لعمر».[٣٥]

وقد ذكر أبوحيّان في البحر رأي الفرّاء هذا، وقال: « وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي في إجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ، أجاز «هو القائم زيد» على أن «زيد» هو المبتدأ، و «القائم» خبره، وهو عماد، وأصل المسألة: «زيد هو القائم»، ويقول: أصل هذه فإذا (أبصار الذين كفروا) هي «شاخصة» فشاخصة خبر عن «أبصار» وتقدم مع العماد، ويجيء على مذهب من يجيز العماد قبل خبره نكرة» [٣٦].

وتابع أبا حيان السمين الحلبي في الدر المصون [٣٧].

٧- قال تعالى: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ»[٣٨].

قال الفرّاء: «الهاء هاء عماد تُوَفَّى بها (إنّ)، ويجوز مكانها (إنّه)، وكذلك هي قراءة عبد الله ﴿ فَإِنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[٣٩].

قال أبوحيان: والضمير في «فإنها» ضمير القصة، وحسن التأنيث هنا ورجّحه كون الضمير وَلِيَه فعل بعلامة التأنيث وهي التاء في «لا تعمي» ويجوز في الكلام التذكير، وقرأ به عبد الله «فإنه لا تعمى» [٤٠] ولم أجد من ذكر أنها عماد فيما بين يديّ من المراجع إلاّ الفرّاء.

٨- قال تعالى: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[٤١]

قال الفرّاء: «هذه الهاءُ هاء عماد، وهو اسم لا يظهر، وقد فُسّر»[٤٢] ولم يذكر أحدٌ أنّ الهاء عماد خلاف الفراء فيما بين يدي من مراجع [٤٣].

٩- قال تعالى: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ»[٤٤].

قال الفرّاء: وقوله «هو الحق»، «هو» عماد للذي، فتنصب «الحق» إذا جعلتها عماداً، ولو رفعت «الحق» على أن تجعل «هو» اسماً كان صوابا»[٤٥].

ووافقه من جاء بعده من المعربين [٤٦].

١٠- قال تعالى: «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» [٤٧]

قال الفرّاء: جعلت «هم» هاهنا عمادا، فنصب «الظالمين»، ومن جعلها اسماً رفع، وهي في قراءة عبدالله: «ولكن كانوا هم الظالمون» [٤٨] وذكر المعربون ما ذكره الفرّاء بلا خلاف [٤٩].

١١-قال تعالى: «كَلَّا إِنَّهَا لَظَى(١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى»[٥٠]

قال الفرّاء:وقوله: «نزاعة للشوى» مرفوع على قولك: إنها لظى، إنها نزاعة للشوى، وإن شئت جعلت الهاء عماداً، فرفعت «لظى» بـ «نزاعة»، كما تقول في الكلام: إنه جاريتك فارهة، وإنها جاريتك فارهة،والهاء في الوجهين عماد «. [٥١].

وقد اتفق المعربون على أن الهاء في قوله تعالى: «إنها» للقصة في أحد وجوه إعرابها، ولم يذكر أحد منهم الفصل أو العماد، قال أبو إسحاق الزجاج:» فأما الرفع فمن ثلاث جهات، إحداها: أن تكون «لظى» و «نزاعة» خبراً عن الهاء والألف، كما تقول: إنه حلوٌ حامضٌ، تريد إنه جمع الطعمين، فيكون الهاء والألف إضماراً للقصة، وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول...» [٥٢]

ضمير العماد عند الفرّاء:

ذكرت في المبحث السابق مواضع ضمير العماد في «معاني القرآن» للفرّاء وبعد دراستها تَبيَّن لي أن هذه المواضع يمكن تصنيفها على أربعة أقسام:

الأول: مواضع نصَّ الفرّاء على أنَّ الضميرَ فيها عمادٌ، والظاهر أنه ليس عماداً، بل هو للشأن أو للقصة، أو للمجهول كما هو اصطلاح الكوفيين.

الثاني: مواضع نصَّ الفرّاء على أنَّ الضميرَ فيها عمادٌ، وهو كما ذهب.

الثالث: مواضع نصَّ الفرّاء على أن الضميرَ فيها عمادٌ مع مخالفة البصريين في كون ما قبل العماد نكرةً، وليس بمعرفة.

الأخير: مواضع محتمل أنْ يكون الضميرُ فيها للعماد على وجه تقديم الضمير مع الخبر.

فأمَّا القسم الأول: فمنه قوله تعالى: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ»[٥٣] قال الفرّاء: « الهاء هاء العماد تُوقَّى بها (إنّ)، ويحوز مكانها (إنّه) « [٥٤].

ومنه قوله تعالى: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[٥٥] قال الفرّاء: «هذه الهاء هاء العماد، وهو اسم لا يظهر، وقد فُسِّر» [٥٦]

ومنه قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّهَا لَظَى. نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى»[٥٧] قال الفرّاء: «وإن شئت جعلت الهاء عماداً،

فرفعت (لظى) بـ (نزاعة) كما تقول في الكلام: إنه جاريتك فارهة، وإنها جاريتك فارهة، والهاء في الوجهين عماد» [٥٨].

هذه المواضع الثلاثة كلُّها، الضمير فيها للشأن أو القصة كما هو اصطلاح البصريين، أو للمجهول كما هو اصطلاح الكوفيين، وليس الضمير فيها للعماد، وأعني ما استقرّ عليه هذا المصطلح عند الكوفيين أي المقابل لضمير الفصل عند البصريين، ومما يدل على ذلك ما ذكره ثعلب في مجالسه.عند قوله تعالى : «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ» قال : «فإنه قال: إذا جاء بعد المجهول مؤنث ذُكِّر وأنث، إنه قام هند، وإنه قامت هند، لأن الفعل يُؤنث ويذكر». [٥٩]

أما القسم الثاني: فمنه قوله تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم» [٦٠] قال الفرّاء: «يقال: إنما (هو) ها هنا عماد» [٦١].

وقوله تعالى: «وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ» [٦٢] قال الفرّاء: «وإن جعلتها عماداً بمنزلة الصلة نصبت (الحق)، وكذلك فأفعل في أخوات كان، وأظن وأخواتها، كما قال الله تبارك وتعالى: «وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ» [٦٣].

وقوله تعالى: «إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا» [٦٤] قال الفرّاء: «(أنا) إذا نصبت (أقلَّ) عماد» [٦٥].

وقوله تعالى: «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» [٦٦] قال الفرّاء: «جعلت (هم) هاهنا عماد» [٦٧].

هذا القسم: الضمير فيه للعماد بلا خلاف، في أحد وجوه إعرابه وهو - أعني العماد - ما يقابل الفصل عند البصريين.

أمّا القسم الثالث: فمنه قوله تعالى: «أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ» [٦٨] قال الفرّاء: (وموضع (أربى) نصب، وإن شئت رفعت كما تقول: ما أظن رجلاً يكون هو أفضلُ منك، وأفضلَ منك، النصب على العماد، والرفع على أن تجعل (هو) اسماً، ومثله قول الله عز وجل: «تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» نصب، ولو كان رفعاً كان صواباً) [٦٩].

فالضمير لا شك أنه عمادٌ غير أنَّه افتقد شرطاً عند البصريين، وهو كون ما قبل الضمير معرفة، والذي في الآية السابقة نكرة، وهو كلمة (أمة) وليست هذه الآية كالآية التي مَثَّل بها الفرّاء؛ لأن الهاء في قوله: (تجدوه) معرفة، قال أبو حيان: « وأجاز الكوفيون أن تكون (هي) عماداً يعنون فصلاً ؛ فيكون (أربى) في موضع نصب، ولا يجوز ذلك عند البصريين لتنكير (أمة) [٧٠].

هذا القسم: الضمير فيه للعماد المقابل للفصل عند البصريين إلا إنَّه فقد شرطاً، وهو كون

ما قبل الضمير معرفة.

أما القسم الأخير : فمنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُم﴾ [٧١].

قال الفراء: وإن شئت جعلت (هو) عماداً، ورفعت الإخراج بمحرَّم، كما قال الله جلَّ وعزّ: «ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر»، فإن قلت: إن العرب إنما تجعل العماد في الظن لأنه ناصب، وفي «كان» و «ليس» لأنهما يرفعان، وفي (إنّ) وأخواتها لأنهن ينصبن، ولا ينبغي للواو وهي لا تنصب ولا ترفع ولا تخفض أن يكون لها عماد، قلت: لم يوضع العماد على أن يكون لنصب أو لرفع أو لخفض، إنما وضع في كلّ موضع يبتدأ فيه بالاسم قبل الفعل، فإذا رأيت الواو في موضع تطلب الاسم دون الفعل صلح في ذلك العماد، كقولك: أتيت زيداً وأبوه قائم، فقبيح أن تقول: أتيت زيداً وقائم أبوه، وأتيت زيداً ويقوم أبوه؛ لأن الواو تطلب الأب، فلما بدأت بالفعل، وإنما تطلب الواوُ الاسمَ أدخلوا لها (هو)؛ لأنه اسم قال الفرّاء: «سمعت بعض العرب يقول: كان مرَّةً وهو ينفع الناس أحسابهم « وقد خَطَّأ الفرّاء في جعله (هو) للعماد أبو جعفر النحاس، والذي يظهر لي أن أبا جعفر النحاس قد فَهم من قول الفرَّاء أن (هو) للعماد، يعني به ما يقابل الفصل عند البصريين، ولهذا خَطأَّه، والظاهر أن الفرّاء لا يعني بالعماد ما يقابل الفصل عند البصريين، بل يعني به ضمير الشأن، بدليل ما مَثَّل به ممَّا نقلناه، ومنه قوله عندما أورد لبعض العرب قوله:

بثوبٍ ودينار وشاةٍ ودرهم فهل هو مرفوع بما ها هنا رأس

«فجعل مع هل العماد، وهي لا ترفع ولا تنصب، لأن هل تطلب الأسماء أكثر من طلبها فاعلاً؛ قال: وكذلك «ما» و«أمّا»، تقول: ما هو بذاهب أحدٌ، وأمّا هو فذاهب زيد، لقبح أمَّا ذاهب فزيد» [٧٢].

وبدليل أن الفرّاء يطلق مصطلح (العماد) ويعني به الشأن أو المجهول في غير موضع كما ذكرنا سابقاً، وقد تابعه في هذا الإطلاق ثعلب عند قوله: «سئل عن قولهم: «إنه قام زيد»، ما تقدم قبله من الكلام؟ فقال: هذا مثل قولهم: إنه قامت هند، إنما تقدَّم العماد ها هنا – يعني في أول الكلام – ليعلموا أنّ الكلام يجئ مذكرا أو مؤنثاً» [٧٣].

وقد ذهب أبو حيان إلى ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس في كون الضمير للعماد إلا إنه لم يُخطئ الفرّاء، بل تأوله على تقديم الضمير مع الخبر، فيكون التقدير: وإخراجهم هو محرم عليكم [٧٤]، وهذا تخريج بعيد.

ومنه قوله تعالى : «فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا» [٧٥] قال الفرّاء: «تكون (هي) عمادا يصلح في موضعها (هو)» [٧٦]، وقد خرَّجها أبو حيان كما خرَّج الآية السابقة على التقديم مع الخبر، والذي يظهر لي أنَّ مراد الفرَّاء بالعماد هنا هو الشأن أو القصة أو المجهول، بدليل

قوله بعدها مباشرة: فتكون كقوله: «إنه أنا الله العزيز الحكيم» ومثله قوله : «فإنها لا تعمي الأبصار» فجاء التأنيث ؛ لأن الأبصار مؤنثة، والتذكير للعماد، وسمعت بعض العرب يقول: كان مرّةً وهو ينفع الناس أحسابهم، فجعل (هو) عماداً، وأنشدني بعضهم:

بثوب ودينار وشاة ودرهم فهل هو مرفوع بما ها هنا رأس»[٧٧]

وهذا التمثيل الذي ذكره الفرّاء يؤكد أنَّ مراده بالعماد -هنا- ضميرُ الشأن أو المجهول، وإيراده هذه الأمثلة خاصةً الأخيرين يؤيد ما ذهبت إليه في الآية السابقة من أنَّ مراده بالعماد هو الشأنُ أو المجهول.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الذي بيَّنا فيه مصطلح العماد، وما يقابله عند البصريين وفائدته، ثم ذكرنا المواضع التي أوردها الفرّاء في كتابه «معاني القرآن» لضمير العماد ، تبيَّن ما يلي:

أن هناك مواضع نصَّ الفرّاء على أن الضمير فيها عماد، والظاهر أنَّ الضمير ليس عماداً، بل هو للشأن، أو للقصة، أو للمجهول، وعليه نقول مطمئنين: إن الفرّاء كان يطلق «العماد» وهو يريد به المجهول في مواضع من كتابه.

أن الفرّاء لا يشترط في كون ما قبل الضمير معرفةً، كما اشترط البصريون.

أن مصطلح (العماد) عند الفرّاء يستعمله فيما يُعرف عند البصريين بضمير الفصل، ويستعمله أيضاً فيما يعرف عند البصريين بضمير الشأن، أو القصة، ولعلَّ هذا نابعٌ من قبيل اضطراب المصطلح النحوي في بداياته الأولى كما أشار لذلك د. عبد الله بن حمد الخثران.

أن ثعلباً تابع الفرّاء في إطلاق مصطلح (العماد) على ضمير الشأن والقصة.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج.ت د. عبد الجليل عبده شلبي. دار الحديث. القاهرة ١٤٢٤هـ.
- شرح المفصل لابن يعيش. عالم الكتب. بيروت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف. لأبي البركات الأنباري. دار الفكر.
- شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي. دار الكتب العلمية. بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي. دار الكتب العلمية. بيروت.
- أمالي ابن الشجري. هبه الله بن علي الحسني العلوي. ت.د محمود محمد الطناحي. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤١٣هـ.
- الأصول في النحو لابن السراج ت.د عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ.
- الكتاب لسيبويه ت. عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن للفراء ت أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار. د. عبد الفتاح شلبي. علي النجدي ناصف. دار السرور.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. لابن هشام. ت. د مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر ١٩٧٢م.
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ت. د زهير غازي زاهد. عالم الكتب.
- تفسير الطبري ت. محمود محمد شاكر. دار المعارف. مصر.
- البحر المحيط لأبي حيان. دار الفكر ١٤١٢هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي. ت علي محمد معوض وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت١٤١٤هـ.
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ت. د. طه عبد الحميد طه.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي. ت. د حاتم الضامن. مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري. دار الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
- معاني القرآن للأخفش ت.د عبد الأمير محمد أمين الورد. عالم الكتب ١٤٠٥هـ.
- مصطلحات النحو الكوفي. د عبد الله حمد الخثران. هجر للطباعة والنشر و التوزيع والإعلان ١٤١١هـ.
- مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب ت. عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر.

هوامش:

(١) سورة البقرة آية ٥.

(٢)سورة الصافات آية ٦٥.

(٣) سورة المائدة آية ١١٧.

(٤) سورة المزمل آية ٢٠

(٥) سورة الكهف آية ٣٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤١٣/١.

(٧) الكتاب ٣٩٢/٢.

(٨) شرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٣، وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠٦/٢، شرح كافيه ابن الحاجب ٦٠/٣، والهمع ٢٢٦/١، أمالي ابن الشجري ٣٧/٢، والأصول لابن السراج ١٢٥/٢

(٩) الكتاب ٣٨٩/٢.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٢٤٨/١

(١١) شرح الكافية ٦١/٣-٦٢

(١٢) الهمع ٢٢٧/١.

(١٣) انظر المغني ص٦٤٤، وانظر أمالي ابن الشجري ١٦٢/١ الهمع ٢٣١/١ الكافية ٦٢/٣.

(١٤) سورة البقرة آية ٨٥

(١٥) سورة البقرة آية ٩٦.

(١٦) معاني القرآن للفراء ٥١/١.

(١٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٤٥/١

(١٨) تفسير الطبري ٣١٢/٢

(١٩) البحر المحيط ٤٧٠/١.

(٢٠) الدر المصون ٢٨٨/١، وانظر مشكل إعراب القرآن ص١٠٣، البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٥/١ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤٩/١، التبيان في إعراب القرآن ٨٠/١.

(٢١) سورة آل عمران آية ١٨٠

(٢٢) معاني القرآن للفراء ٢٤٨/١، وانظر تفسير الطبري ٤٢٩/٧، إعراب النحاس ٤٢٢/١ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١٣/١، البيان في غريب إعراب القرآن ٢٣٣/١، مشكل إعراب القرآن ١٨٠/١ البحر المحيط ٤٥١/٣، الدر المصون ٢٧١/٢.

(٢٣) سورة الأنفال آية ٣٢

(٢٤) سورة سبأ آية ٦.

(٢٥) معاني القرآن ٤٠٩/١

(٢٦) أنظر تفسير الطبري ٨٠٥/١٣، البيان في غريب إعراب القرآن ٣٨٦/١، مشكل إعراب القرآن ٣١٤/١، معاني القرآن وإعرابه ٣٣٣/٢، إعراب النحاس ١٨٥/٢ البحر المحيط ٣١٠/٥ الدر المصون ٤١٤/٣

(٢٧) معاني القرآن للأخفش ٢ - ٥٤٣ و ما بعدها

(٢٨) سورة النحل آية ٩٢.

(٢٩) المعاني ١١٣/٢

(٣٠) إعراب النحاس ٤٠٧/٢ وانظر: ١. التبيان ٧٠/٢، ٢. إعراب الزجاج١٧٨/٣ — ٣. مشكل إعراب القرآن ٤٢٥ — ٤. البيان في غريب إعراب القرآن ٨٣/٢ ٥. البحر المحيط ٥٨٨/٦ — ٦. الدر المصون ٣٥٦/٤

(٣١) سورة الكهف آية ٣٩.

(٣٢) المعاني ١٤٥/٢.

(٣٣) انظر:إعراب النحاس ٤٥٧/٢إعراب الزجاج ٢٣٥/٣مشكل إعراب القرآن٤٤١البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٩/٢البحرالمحيط١٨٠/٧الدر المصون ٤٥٨/٤

(٣٤) سورة الأنبياء آية ٩٧

(٣٥) المعاني ٢١٢/٢.

(٣٦) البحر المحيط ٤٦٨/٧.

(٣٧) الدر المصون وانظر التبيان في إعراب القرآن ١٦٧/٢.

(٣٨) سورة الحج آية ٤٦

(٣٩) المعاني ٢٢٨/٢

(٤٠) البحر المحيط ٥٢١/٧ وأنظر الدر المصون ١٥٦/٥ والتبيان ١٨١/٢.

(٤١) سورة النمل آية ٩

(٤٢) المعاني ٢٨٧/٢

(٤٣) البحر المحيط ٢١٢/٨، الدر المصون ٢٩٧/٥، التبيان ٣١/٢

(٤٤) سورة سبأ آية ٦

(٤٥) المعاني ٣٥٢/٢

(٤٦)انظر: إعراب النحاس ٣٣٢/٣، إعراب النحاس ١٨٢/٤، التبيان ١٨٢/٢، البحر ٥٢١/٨، الدر المصون ٤٣٠/٥.

(٤٧) الزخرف آية ٧٦

(٤٨) المعاني ٣٧/٣

(٤٩) انظر إعراب النحاس ١٢١/٤، إعراب الزجاج ٣٢٠/٤، البحر المحيط ٣٨٨/٩، الدر المصون ١٠٧/٦

(٥٠) سورة المعارج آية ١٥، ١٦.

(٥١) المعاني ١٨٥/٣.

(٥٢) إعراب الزجاج ١٧٢/٥ أنظر: البحر المحيط ٢٧٤/١٠، الدر المصون ٣٧٦/٦، مشكل إعراب القرآن ٧٥٧، البيان في غريب إعراب القرآن ٤٦١/٢، إعراب النحاس ٣٠/٥

(٥٣) سورة الحج آية ٤٦

(٥٤) معاني القرآن ٢٢٨/٢

(٥٥) سورة النمل آية ٩

(٥٦) المعاني ٢٩٧/٢

(٥٧) سورة المعارج آية ١٥، ١٦

(٥٨) معاني القرآن ١٨٥/٣

(٥٩) مجالس ثعلب ١٠٢/١

(٦٠) سورة آل عمران آية ١٨٠

(٦١) معاني القرآن ٢٤٨/١

(٦٢) سورة الأنفال آية ٣٢

(٦٣) سورة سبأ آية ٦

(٦٤) سورة الكهف آية ٣٩

(٦٤) معاني القرآن ١٤٥/٢

(٦٥) سورة الزخرف آية ٧٦

(٦٦) معاني القرآن ٧٣/٣

(٦٦) سورة النحل آية ٩٢

(٦٧) معاني القرآن ١١٣/٢

(٦٨) البحر المحيط ٥٨٨/٦

(٦٩) سورة البقرة، آية ٨٥.

(٧٠) معاني القرآن ٥٢/١

(٧١) مجالس ثعلب ٥٩٣/٢ وانظر ٣٥٤

(٧٢) البحر المحيط ٤٧٠/١

(٧٣) سورة الأنبياء آية ٩٧

(٧٤) معاني القرآن ٢١٢/٢

(٧٥) معاني القرآن ٢١٢/٢

(٧٦)

(٧٧)